وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد لمين دباغين-سطيف02 **كلية الآداب واللغات**

قسم اللغة والأدب العربي **التخصص: دراسات أدبية**

السنة: الثانية ليسانس **السداسي: الرابع**

المادة: الحداثة في الأدب العربي

المحاضرة الثالثة: التجديد في شعر أبي نواس وأبي تمام

يعد العصر العباسي عصر الشعراء المجددين الذين أصبح شعرهم يشكل تيارا مستقلا في الأدب العربي، ولقد اختلف الباحثون والنقاد في تحديد المؤسس الفعلي لحركة التجديد في الشعر العربي في هذه الفترة، فذهب كل من شوقي ضيف وطه حسين وبروكلمان وآخرون إلى أن للوليد بن يزيد دورا بارزا في ظهور هذه الحركة التحررية في الشعر العربي.كما أنه أول من أوجد في الشعر العربي القصيدة الخمرية التي تقصر نفسها على الخمر، ووصفها واستشعر تأثيرها.

أما أدونيس فيزعم أن بشار بن برد هو أول المحدثين بالمعنى الإبداعي، ممن خرجوا على ما سمي بعمود الشعر العربي، حتى قيل عنه أنه أستاذ المحدثين.

والشعر عند أبلكن أبرز من أتى من بعد في باب التجديد الشعري في العصر العباسي هما: أبو نواس وأبو تمام

01/- مظاهر التجديد عند أبي نواس:

أبو نواس هو شاعر الخمرة، والزعيم الفعلي للشعراء المجددين في عصره، كان يريد أن ينهج بالشعر منهجا جديدا لم ينهجه المتقدمون، أو قل أنهم نهجوه، ولكنهم لم يشعروا بذلك، ولم يتخذوه عقيدة أو مذهبا في الأدب. وارتبط اسمه بالتجديد بسبب هجومه على المقدمة الطللية، واستبدالها بالمقدمة الخمرية، متأثرا ببشار بن برد، وبروح العصر الذي نشأ فيه، ففزع كثيرا إلى التحرر من المقدمة الطللية التي لا تنسجم مع العصر الذي يعيش فيه، فهو يريد التوفيق بين الشعر والحياة الحاضرة، بحيث يكون الشعر مرآة صافية تتمثل فيها الحياة، ومعنى ذلك العدول عن طريقة القدماء، لأن هذه الطريقة تلائم القدماء، وما ألفوا من ضروب العيش، فإذا تغيرت ضروب العيش هذه، وجب أن يتغير الشعر الذي يتغنى بها، يقول:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء = وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها = لو مسها حجر مسته سراء

قامت بإبريقها والليل معتكر = فلاح من وجهها في البيت لألاء

وفي موضع آخر يسخر ويستهجن المقدمة الطللية، ويحل محلها المقدمة الخمرية، ويدعو شعراء عصره للتخلي عنها، لأنها لا تمت لهم بصلة، فيقول:

قل لمن يبكي على رسم درس = واقفا ما ضر لو كان جلس

اترك الربع وسلمى جانبا = واصطبح كرخية مثل القبس

كرم الجوف إذا ما ذاقها = شارب قطب منها وعبس

ويدعو ألا تجف دموع الواقفين على الأطلال:

لا جف دمع الذي يبكي على حجر = ولا صفا قلب من يصبو إلى وتد

كم بين ناعت خمر في دساكرها = وبين باك على نؤي ومنتضد

دع ذا عدمتك واشربها معتقة = صفراء تفرق بين الروح والجسد

ونزعته الشعوبية بارزة في كثير من أشعاره، فهو الذي يقول:

عاج الشقي على رسم يسائله = وعجت أسأل عن خمارة البلد

يبكي على طلل الماضين من أسد = لا در درك قل لي من بنو أسد

ومن تميم ومن قيس ولفهما = ليس الأعاريب عند الله من أحد

وما فتئ يظهر للناس أنه من بني الأحرار (الفرس)، فيكثر من ذكرهم، والتمدح بمناقبهم، والإشادة بمفاخرهم، فيقول:

ألم تر ما بنى كسرى = سابور لمن غبرا؟

منارة بين دجلة والـ = ـفرات تفيأت شجرا

بأرض باعد الرحمـ = ـن عنها الطلح والعشرا

ولم يجعل مصايدها = يرابيعا ولا وحرا

02/- مظاهر التجديد في شعر أبي تمام:

فقد عرف عن أبي تمام الغموض في شعره، ومع أن غريبه يساعده على هذا الغموض، إلا أن الغموض عنده أساسا يأتي نتيجة التركيب، ذلك لأن الألفاظ في حد ذاتها قد تكون فصيحة، ومع هذا يكون المعنى غامضا، على نحو قوله:

خان الصفاء أخ خان الزمان أخا = عنه فلم يتخون جسمه الكمد

وقد يكون الغموض نتيجة لتكديس الجناس والمطابقة، كقوله:

من مات من حدث الزمان فإنه يحيا لدى يحي بن عبد الله

كما عرف عنه اختراعه للمعاني، وإلحاحه على توليدها، وقد يخترعها اختراعا، حتى أثارت قضية المعاني اهتمام النقاد في شعره، فيقول عنه ابن المعتز: "إن شعره لا يخلو من المعاني اللطيفة، والمحاسن والبدع الكثيرة"، ويؤكد الآمدي هذا الرأي حينما قال: "وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على ما سوى ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة"، فله من القدرة الفنية والطاقة التي تمكنه من استخراج المعاني من أن تكون مما وقع تحت حسه، وشاهده ببصره، ومن معانيه الجديدة التي كانت وليدة حدث كبير، قوله في رثاء محمد بن محمد بن حميد الطوسي، في قوله:

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة = تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده = لعهدي به ممن يحب له الدهر

وكيف احتمالي للسحاب صنيعة = بإسقائه قبرا وفي لحده البحر؟

ففي هذه المقطوعة يتجلى لنا أبو تمام على أنه شاعر حاذق بالمعاني، مبتكر لبعضها وسابق إليها، حريص على توشية شعره بالزخارف والمحسنات البديعية، فهو يطلب الإغراب في فنه حتى يسبغ على شعره كل ما يمكن من وسائل الزخرف والتصنيع، وما زال بها حتى جعلها تنميقا وزينة خالصة، وهي حلي أنيق، ووشي مرصع كثير.

ويؤكد شوقي ضيف على أن تعمق أبي تمام في مذاهب المتكلمين وفي الفلسفة والمنطق تعمقا جعله ينشر في معانيه الأضداد المتنافرة نشرا يدخل البهجة على النفس بما يصور من تعانقها في الحياة، تصويرا يدل على عمق غوره في الإحساس بحقائق الكون، وبترابط جوهرها، حتى الجواهر تبدو متضادة، فإن بعضها ينشأ من بعض، ويلتقى التقاء وثيقا على شاكلة قوله:

رب خفض تحت السرى وغناء = من عناء ونضرة من شحوب